الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن استنَّ بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب
الـخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

وَقَالَ الـخَلِيل عليه السلام: ﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّـرْكُ الأَصْغَرُ**»، فَسُئِلَ عَنْهُ؟، فَقَالَ: «الرِّيَاءُ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَـنْ مَـاتَ وَهُـوَ يَـدْعُو للهِ نِـدًّا؛ دَخَـلَ النَّـارَ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَلِـمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْـرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الـجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْـرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

قَالَ الشارح وفقه الله:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: (**باب الخوف من الشِّرك**).

الخوف: هو شعورٌ جبلي يتولد من توقع حصول المكروه، ويُعبر عنه بما يُناقض أو ينافي أو يُضاد الأمن.

ولذلك قال جل وعلا عن أهل الإيمان أنهم يوم القيامة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:٨٩]

والخوف ضد الأمن، ومن لم يخف على نفسه الشرك لم يأمن على نفسه يوم القيامة، ولهذا جاء في

الحديث القدسي: «قُولُ اللهُ ﷻ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». الحديث عند ابن المبارك في «الزهد» بسندٍ صححه الألباني أو حسنه الألباني.

والمقصود أننا نخاف الله ﷻ بإتيان ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، هكذا يحصل الأمن.

والأمن إنما يحصل لمن حقق التوحيد، كما في سورة النور في قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥]، لأن الخوف ضد الأمن، فالله ﷻ يستبدل لهم الخوف الذي هم خافوه من عباد الله في الدنيا يستبدله لهم أمنًا، لأنهم خافوا الله فوحدوه، والخوف يوجب الفِرار والهرب، ولهذا قال الله ﷻ كما في الذاريات: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠]، وهذه السورة هي التي جعل فيها تقرير سبب خلق الخلق وهو التوحيد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] في سياق الآيات قال: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠-٥١] .

إذًا فالله ﷻ بين لنا أن من خافه في الدنيا فعمل بمقتضى هذا الخوف بمعنى أنه أتى ما يُحبه الله وهو موجب الإيمان موجب الأمن، الإيمان الخالص هو موجب الأمن، فخاف الله ﷻ ووحده، فهذا يُخلصه الله ﷻ من الخوف من العباد في الدنيا كما في آية النور من الخوف يوم القيامة كما في آية النمل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:٨٩].

والشرك هو اتخاذ النِّد مع الله والشريك معه، وهذا جُرمٌ عظيم، بل هو أعظمُ الجُرم، كما في الحديث: «أيُّ الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». فمن جعل لله ندًا يتقرب إليه كما يتقرب إلى الله بنوعٍ من أنواع العبادة، إما العبادة القلبية كالحُب والبغض والخوف والأمن والرجاء والرهبة والرغبة، وما إلى ذلك من أعمال القلب، فإنه لا يأمن، هذا لا يحصل له الأمن لا في الدنيا ولا في

الآخرة، حتى في الدنيا لا يحصل له الأمن، لأن الأمن يحصل في الدنيا بدفع أسباب الخوف المخلوقة التي خلقها الله، مثل: تسلط الشياطين من الإنس والجن عليه، فإذا آمن بالله ﷻ وقاه الله ﷻ ودفع عنه خوف الدُّنيا، وكذلك في الآخرة، أما في الدنيا فالله ﷻ قد بين قال: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وفي الآخرة كما سمعت في قوله ﷻ في سورة النمل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل:٨٩]، يعني يوم القيامة آمنون.

ثم أورد آية النساء، وهي آيةٌ وردت في موضعين من سورة النساء في الآيتان مائة وأربعين، والآية السادسة عشرة بعد المائة في بيان مصير الشرك وأهله، فإن الله ﷻ قد بين أنه لا يغفر الشرك أبدًا، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].. والآيات في هذا كثيرة جدًا في التحذير من الشرك وبيان مآلاته، كما قال جل وعز في آية البقرة في الآية الحادية والعشرين والثانية والعشرين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

ثم قال جل وعز في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥] القوة لله، فلماذا تخاف والقوة لله؟ غيره ضعيف.

وترددت آيات التحذير من الشرك وصرف العبادة لغير الله كثيرٌ جدًا في القرآن، والقرآن كله بآيات الأحكام وآيات المعاملات، وكل ما ورد في القرآن فهو يطفق بالتوحيد والتحذير من الشرك.

وقوله ﷻ: (﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:٤٨]) فسره حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الآتي أنه إذا لم يتُب، أما إذا تاب فالأمر كما قال الله ﷻ في آية الفُرقان: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ هذا الشرك، ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ هذه كبيرة من كبائر الذنوب، ﴿وَلا يَزْنُونَ﴾ وهذه

كبيرة أخرى، هذه ثلاثة ذنوب:

الأولى: تعطيل حق الرب ﷻ باتخاذ الشريك معه.

والثانية: تعطيل أو إزهاق نفسٍ لا تستحق القتل، وهذا جرمٌ واعتداءٌ على الآخرين.

والثالث: الزنا، وهو إيجادٌ للولد بغير طريقٍ مشروع، وفيه إلحاق ضرر بزوج المرأة وأهلها ومولودها، وهذه جرائم عظيمة، لكن قال جل وعز: بعد أن قال: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان:٦٩] قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

فإذًا من لقي الله وهو لا يُشرك به شيئًا لا يغفر الله ﷻ له مهما كان هذا الإنسان لديه من أعمال فضائل أعمال، أو كان له من صلة قرابة مع نبي من الأنبياء، فإن الله لا يقبل، فابن نوح وزوجة نوح في النار، وزوجة لوط في النار ووالد إبراهيم في النار، وعم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النار، بل والداه في النار وجده في النار، لأن الأمر قائمٌ على أساس التعبد لله بإخلاص العبادة، ومن أخلَّ بها فليس بين الله وبين خلقه صلةٌ إلا أن يكونوا له موحدين وله عابدين طائعين، فإن أشركوا فإنهم مُعرضون لسخط الله ﷻ التام، المُحبط لكل عمل، والموجب للخلود في النار.

قال: (وَقَالَ الخَلِيل عليه السلام: ﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]) خاف الخليل عليه السلام من الشرك وهو من هو عليه السلام إبراهيم الخليل هو من هو في مقاومة ومناوئة الشرك والمشركين، حتى إن الله ﷻ أمرَ المؤمنين أنْ يتخذوه قدوةً وأسوة، وسماه أمة، قال جل وعلا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

وهذه الموعظة اعتذر منها إبراهيم عليه السلام لما أعلمه الله أن والده من أهل النار، فقال ﷻ كما في سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [التوبة:١١٤] إبراهيم وعد أباه،

قال: ﴿قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، وقال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ أي بعد أن بين الله ﷻ لإبراهيم أن من مات على الشرك مثل أبيه فإنه يخلد في النار، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

وهكذا صار الأمر مع نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه لما سأله الرجل: أين أبي؟ قال: «أبوك في النّار» فذهب الرجل حزينًا فناداه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «أبي وأبوك في النَّار»، لأن كلا الرجلين ماتا على الشرك على دين آبائهم.

ولما مر بقبر أمه في الأبواء ومعه أكثر من ألف من الصحابة أمرهم أن ينتظروا في مكانٍ، ثم انطلق هو إلى حيثُ قبر أمه، فسُمع يبكي بكاءً ما رؤوي ولا سُمع يبكي مثله قط قبله، فأشفق الصحابة عليه فقالوا: يا رسول الله ما الذي يُبكيك علنا أن نبكي؟ فقال: «**استأذنتُ ربي أن أزور قبر أمتي، فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فمنعني**»، وهذا فيه دليل على أنها من المشركين ماتت على الشرك ماتت على غير دين إبراهيم الخليل الذي ترك آباءهم جميعًا الذي تركه لآبائهم، وصاروا عليه إلى أن جاء عمرو بن لحي الخزاعي، فبدَّل دين الله وجاء بالأصنام من الشام، ولما كان هو رأس أهل مكة اتبعوه، لأنه كما يقال: «الناس على دين ملوكهم»، فكان هو أول من أحدث الشرك في جزيرة العرب، حتى قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيتُ عمرو بن لُحي يجر قصبه في النار**». رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

والمعنى: أنَّه يجرُّ أمعاءه في النار.

وكان أول من سيَّب السوائب، يعني الشرك.

ثم قال: (﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]) سأل الله ﷻ أنْ يجعله وأبناءه بعيدين في جانبٍ آخر قال: (﴿واجْنُبْنِي﴾) من المجانبة أي يكون السائل في جانب والمستعاذ منه في جانبٍ آخر، فلا يجتمعان في مكانٍ ولا في طريق.

وقوله: (﴿وَبَنِيَّ﴾) ظاهره أنه يشمل جميع ذريته، ولكن الله ﷻ أخبره أنه لنْ ينال عهده الظالمون،

كما قال الله ﷻ في آية البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]. فمن ظلم نفسه بالشرك فإنه لا عهدَ له عند الله، لأنه نقض العهد أي عهدٍ؟ الذي أخذه الله ﷻ عليهم، يوم أن كانوا في صُلب أبيهم آدم، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ يعني شهدنا بأنك ربنا لا غير ليس أحدٌ سواك هو ربُّنا.

ثم قال ﷻ: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ يعني لا تُبدلوا ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]، لا تأتي يوم القيامة وتعتذرون بأنكم غفلتم ونسيتم وذهلتم، فإن هذا غير مقبول.

ثم أورد حديث الخوف من الشرك الأصغر، لأن الناس قد ينصرفوا إلى الشرك الأكبر فقط مُتجاهلين الشرك الأصغر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خافه على أمَّتِه كما في هذا الحديث حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وفيه قال: «**إن أخاف ما أتخوَّف على أمتي الإشراك بالله**».

وجاء في المسند كما في الحديث الذي أورده المصنف وهو صحيح الإسناد، والأول من حديث شداد ضعيف الإسناد، ولكن معناه صحيح، وأما هذا فهو صحيح الإسناد: («**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»، فَسُئِلَ عَنْهُ؟، فَقَالَ: «**الرِّيَاءُ**»).

وجاء مُفسَّرًا في أحاديث أُخر، كما في الحديث عند ابن أبي شيبة في "المصنَّف" وغيره أيضًا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذكر الشرك الأصغر -وهو الرياء- لكنه أصغر إذا كان يسير الرياء، أما عظيم الرياء إذا استمرَّ عليه واستمرأه، فإنه يكون مُحبطًا لعملِه -عياذًا بالله-.

فإذًا الرياء صفة من صفات المنافقين، كما أخبر الله ﷻ في كتابه العزيز في صفةِ المنافقين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

فالرياء أمره خطير، وجاء تفسيره في الحديث أنه يذهب يُحسن صلاته لنظر الرجل إليه، ومن أجل أن

يُثني عليه من رآه، وهذا خطيرٌ جدًا، وهو من أيسر أبوابِ الشيطان ولوجًا على قلب المسلم، فينبغي للإنسان أن يُجاهد نفسه في ذلك.

ثم أورد حديث ابن مسعود المُخرج عند البخاري ومسلم في «صحيحه» قال: («**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ) يصرف له الدعاء ويسأله حاجته، أو دفع المخوف والضر، إما أن يدعوه لجلب النفع أو لدفع الضر.

وفي لفظ البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: («**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلهِ نِدًّا؛ دَخَلَ النَّارَ**») قال ابن مسعود أنا: «مَن مات لا يدعو لله ندًا دخل الجنة».

وهذا من لازم الضِّد، فما دام أن مَن دعا لله ندًا دخل النار، فإن من لم يدعُ لله ندًا يدخل الجنة.

وفي مسلم أنه قال: «من مات وهو يُشرك بالله شيئًا دخلَ النَّار» قال ابن مسعود: «وقلتُ أنا: ومَن مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة». وهذه الجملة جاءت في الحديث الصحيح في حديث أبي هريرة في البخاري.

والنِّدُّ: هو المَساوي والشَّبيه والمُماثل.

والله ﷻ لا يوجد له مُماثل ولا مُكافئ، ولا شبيه، ولهذا في آخر سورة الإسراء قال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء:١١١] يعني هذا نقص في حق الله ﷻ تعالى الله ﷻ عن ذلك، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ أي من الضعف، لم يكن عنده مُعين لا في خلق الخلق ولا في تدبيرهم، فهو وحده الله ﷻ الخالق البارئ المصور، وهو المُدبر لجميع الخلق.

ثم أورد حديث جابر المُخرج عند مسلم في الصحيح وعند أحمد في المسند أنه قال: («**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**»). وهو قريبٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومعناه: واضحٌ يُفسر بعضه بعضًا: («**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**») يعني حتى ولو كان قد حصل منه شركٌ كما حصل في الجاهلية، فلما أسلموا تركوا الشرك، والمُهم أنه عند لُقيا الله أنه لا يُشرك به شيئًا، وليس أنه أشرك به في حياته، المقصود أنه عند موته لم يكُن مُشركًا، ولهذا لما بلغه عن غُلامٍ

يهودي أنه مرض في المدينة أتاه، وقيل: إن هذا الغلام كان يخدمه، فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده فوجده ونفسُهُ تتردد -أي على وشك الموت- فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»، فجعل الغلام ينظر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تارة وإلى أبيه تارة، حتى قال له أبوه بعد ثالثة أو رابعةٍ أو نحوها: «أطع أبا القاسم» فتلفظ الغُلام بالشهادة فمات ففاضت روحه، فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتهلل مُستبشرًا ويقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار». ومعناه: «بي» يعني بسببي لأنه هو المبعوث الذي يُخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وكذلك لما احتُضر عمه أبو طالب أتاه، فقال: «يا عماه، قل كلمة أُحاج لك بها عند الله»، قل لا إله إلا الله، فجعل ينظر إليه تارة، ثم ينظر إلى رجالات قريش المشركة تارةً أخرى، وهم يقولون له: «أترغب عن ملة عبد المطلب» حتى قال في السادسة أو نحوها أنه على ملة عبد المطلب، ثم فاضت روحه، ولذلك لما سأله حمزة سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو العباس قائلًا: «ما صنعت لعمك الهالك» يعني أبا طالب الذي احتضنه ورباه وناصره وآزره، لكنه لم يترك دين آبائه مخافةَ الذم والمسبة من قومِهِ، فقدَّم رضا الناس على رضا الله، فكانت العاقبة أنه في النار، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعباس أو لحمزة: «هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

وعلى الإنسان ألا يأمن على نفسِهِ، فإن الله ﷻ قد نهى أن يأمن الإنسان على نفسه وعلى دينه وعلى قلبه، قال جل وعلا: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر في سجود أن يقول: «لا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

فنسأل الله أن يثبت قلوبنا على دينه، وأنْ يجعلنا من أهل طاعته ومحبته، ويُباعد بيننا وبين معاصيه، وأن يجعلنا وإياكم من الراشدين.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.